

## خطبة بعنوان: الوفاء وأثره في حياة الأمة بين الواقع والمأمول

### عناصر الخطبة:

العنصر الأول: منزلة الوفاء

العنصر الثاني: أنواع الوفاء وصوره

العنصر الثالث: الوفاء للوالدين صور ونماذج بين الماضي والحاضر

### المقدمة:

أما بعد:

العنصر الأول: منزلة الوفاء

عباد الله: من القيم النبيلة والأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام خلق الوفاء.

والوفاء ضد العَدْر، يقال: وَفَى بعهده وأَوْفَى. بمعنى، ووفى بعهده يفِي وفاءً، وأوفى: إذا تمّ العهد ولم ينقض حفظه. قال الإمام الجرجاني الوفاء هو: " ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء." (التعريفات).

والوفاء يختصّ بالإنسان، فمن فقد فيه (الوفاء) فقد انسلخ من الإنسانيّة، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيّره قواماً لأُمور النَّاس، فالنَّاس مضطَّرون إلى التَّعاون، ولا يتمّ تعاوُنهم إلَّا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التَّعاشي.

والوفاء بالعهد هو قيام المسلم بما التزم به؛ سواء كان قولاً أم كتابة، فإذا أبرم المسلم عقداً فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً فيجب أن يلتزم به. فالعهد لا بد من الوفاء به، كما أن اليمين لا بد من البر بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مآثم، فلا عهد إلا بمعروف.

والوفاء بالعهد من صفات الأنبياء والمرسلين؛ فقال - تعالى - متحدِّثاً عن سيدنا إسماعيل - عليه السلام - : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } [مریم: 54]، وقال في إبراهيم - عليه السلام - : { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } [النجم: 37]. قال الإمام ابن جرير الطبري (رحمه الله): " وَفَى جميعَ شرائع الإسلام، وجميعَ ما أمر به من الطاعة." أ.هـ. نعم، وَفَى حين ابتلاه الله بكلمات من الأمر الإلهي فآتمهنَّ، وَفَى حين قدَّم ولده إسماعيل قرباناً تنفيذاً لأمر الله تعالى، وَفَى حينما ألقي في النار فصبر ابتغاء مرضاة الله وثباتاً على دين الله تعالى.

وقد كان صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين أوفى الأوفياء؛ فكان قدوةً في الوفاء بالعهد حتى مع غير المسلمين، فها هو يأمر علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه ليلة الهجرة؛ كي يرُدَّ الأمانات إلى أهلها، أوليس هو القائل: " أَدِّ الأمانة إلى مَنْ ائتمنك، ولا تُخُنْ مَنْ خانك!؟" (أبو داود والترمذي وحسنه).

ولا ننسى وفاءه - صلى الله عليه وسلم - في يوم البر والوفاء الذي نزل فيه قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } (النساء: 58). فقد جاء في سبب نزول الآية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، ليأخذ منه المفتاح فاختبأ عثمان فوق الكعبة، فتبعه عليٌّ وأخذ منه المفتاح عنوة، وفتح الباب، فدخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين، فقام إليه العباس، ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أين عثمان بن طلحة؟" فدعي له، فأمر رسول الله عليّاً أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليٌّ، فقال له: "هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء" فقال له عثمان: يا عليّ أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً، وقرأ عليه هذه الآية. (تفسير ابن كثير)، وتكرهياً لشأن عثمان والوفاء، خصه صلى الله عليه وسلم وذريته من بعده بسدانة البيت والمفتاح فقال: " حُدُّوها يا بني طَلْحَةَ خَالِدَةَ تالدةً لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَلَمٌ، يَعْنِي حِجَابَةَ الْكَعْبَةِ." (مجمع الزوائد) ولما مات عثمان سلمه لابنه شيبه وما زال المفتاح حتى يومنا هذا في بني شيبه.

وما أجمل وفاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بأُمَّته كلها؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص: " أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه الصلاة والسلام: " رَبِّ إِنِّي نَصَلْتُكَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي " (إبراهيم: 36) وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " إِنَّ تَعَدِّيهِمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (المائدة: 118)؛ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي

أُمَّتِي” وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: “يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ؟” فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ: “يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَتَرْنَا فِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْؤُوكَ” [مسلم] فهل بعد ذلك من وفاء؟!!!

أحبتي في الله: لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في الوفاء من المثالي أجملته، ومن النصيب أكمله، ومن رد الجميل أحسنه وأعدله. ودلائل وفاء محمد صلى الله عليه وسلم لا تنتهي عند المواقف والأحداث التي كان يفي فيها بما التزمه، فقد شهد له أعداؤه بأنه يفي بالعهود ولا يغدر، فحين لقي هرقل أبا سفيان، وكان أبو سفيان على عداوته لمحمد صلى الله عليه وسلم سأل هرقل أبا سفيان عن محمد صلى الله عليه وسلم عدداً من الأسئلة، كان مما سأله فيه قوله: فهل يغدر؟. قال لا !!

وعلى هذا الخلق العظيم من الوفاء سار الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لما قبض قال أبو بكر للصحابة: "من كان له عِدَّةٌ عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو دِينٌ فليأتني". قال جابرٌ: فأتيتُه فقلتُ: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لي: "لو قد جاء مالُ البحرَيْنِ أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا". فلم يَجِئْ مَالُ البحرَيْنِ حتى قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: فحثنا لي أبو بكر من مال البحرَيْنِ لما جاءه حثيةٌ فعددتُها، فإذا هي خمسمائة، فقال لي: "حُذْ مثليها" (متفق عليه).

أيها المسلمون: إن العرب في الجاهلية كانوا يتحلون بشرف الالتزام بالكلمة والوفاء؛ حتى ولو فيه رفاهم!! وما أكثر القصص التي تدل على هذه المكرمة في نفوس الجاهليين، وفي لقاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع عمرو بن معدى كرب رضي الله عنهما عظة وعبرة، قال عمرو: سأحدثك يا أمير المؤمنين عن أحيل رجل لقيته، وعن أشجع رجل، وعن أجبين رجل. "كنت - في الجاهلية - في الصحراء، أركض فرسي، علي أجد رجلاً أقتله، إذا أنا بسواد بعيد، فركضت فرسي إليه فرأيت فرساً مربوطاً، وصاحبه في الخلاء، فصحت فيه: خذ حذرك فإنني قاتلك، ثم نهض متقدماً نحوي، فقال: من أنت؟ قلت عمرو بن معدى كرب، قال: أبا ثور، ما أنصفتني؛ أنت راكب وأنا راجل، قال: أنت آمن حتى تركب، فلما وصل إلى فرسه جلس واحتبى، قلت: خذ حذرك فإنني قاتلك، قال: ألم تقل لي: إنك آمن حتى تركب؟ قال: بلى، قال: فلست براكب، فانصرفت عنه، فهذا أحيل رجل يا أمير المؤمنين. (أيام العرب في الجاهلية لأحمد جاد المولى ورفاقه.)؛ فانظر إلى حيلة الرجل علم أن عمرو بن معدى كرب أعطاه عهداً بأنه لن يقتله مادام راجلاً لم يركب؛ فاحتبى الرجل ورفض الركوب؛ ووفى عمرو بعهدته وتركه!!!

ولقد ضرب عوف بن النعمان الشيباني أروع الأمثلة في الوفاء بالوعد حيث قال في الجاهلية الجهلاء: "لأن أموت عطشاً، أحبُّ إليَّ من أكون مخالف الموعدة." (الأمثال لأبي عبيد بن سلام) .

ولذلك كانت العرب إذا ضربت مثلاً بالوفاء قالوا: (أوفى من السموأل) .. فما هي قصته؟! "لما أراد امرؤ القيس المضي إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعاً وسلاحاً وأمتعةً تساوي من المال جملةً كثيرةً. فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل، فقال السموأل: لا أدفعها إلا لمستحقيها وأبي أن يدفع إليه منها شيئاً، فعاوده فأبى، وقال: لا أغدر بدمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب عليّ، فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره، فدخل السموأل في حصنه، وامتنع به، فحاصره ذلك الملك.

وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به الملك فأخذه أسيراً، ثم طاف حول الحصن، وصاح بالسموأل، فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلما رآه قال له: إنَّ ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإن سلّمت إليّ الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلت عنك وسلّمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك، دَبَحْتُ ولدك وأنت تنظر، فاختر أئبهما شئت؟! فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئت، فدبح ولده وهو ينظر!! وصبر السموأل على ذبح ولده، في سبيل محافظته على وفائه، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً، فلما جاء الموسم وحضر ورثته امرئ القيس، سلّم إليهم الدروع والسلاح .. فسارت الركبان بعد ذلك بهذا المثل: (أوفى من السموأل). (المستطرف للأبشيهي)؛ فانظر كيف ضحى بولده ودبح أمامه في سبيل وفائه بعهدته!!! مع أنهم في زمن الجاهلية فكيف بكم يا مسلمون!!!

أحبتي في الله: الوفاء .. كلمة حبٍ وصفاءٍ .. في حروفها الإخلاصُ والتِّقَاءُ .. أجمع على تقديرها العُقلاءُ .. وإذا كانَ قد وُجِدَ مثلَ هذا الوفاءِ في الجاهليَّةِ الظُّلَماءِ .. فكيفَ إذا الحالُ بعدَ نزولِ شريعةِ السَّماءِ .. ولذلك لن تجدَ بعدَ ذلك من يقولُ أوفى من محمدٍ سيِّدِ الأنبياءِ .. عليه الصَّلَاةُ والسلامُ عددَ نجومِ السَّماءِ .. وعددَ قطرِ المائِ .. خاتمِ المرسلينَ وإمامِ الأتقياءِ .

### العنصر الثاني: أنواع الوفاء وصوره

عباد الله: هناك أنواع وصور وأشكال للوفاء ؛ كالوفاء بين العبد وربه؛ وبين العبد ورسوله؛ وبين المسلم وغير المسلم؛ وبين المسلمين بعضهم البعض؛ وهماك البيان مع الدليل والقصص والآثار؛ والله المستعان وعليه التكلان:  
أولاً: الوفاء مع الله:

فالوفاء للخالق يتمثل في توحيدهِ وعبادته وشكركه بالأقوال والأفعال، وحُسنِ معاملِهِ عياله والصِّدقِ معهم.

فبين الإنسان وبين الله -سبحانه وتعالى - عهد عظيم مقدس وهو أن يعبدَه وحده لا يشرك به شيئاً، قال تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } (يس: 60 ؛ 61) فانظر في نفسك .. أين أنت من هذا الوفاء ؟ ماذا قدمت له ؟ هل عبدت الله حق العبادَةِ وحافظت على عقيدتك وإيمانك وما افترضه عليك من صلاة وصيام وزكاة وحج وسائر العبادات والطاعات؟! أم تركت نفسك للشبهات والشهوات وغرتك دنياك بما فيها من أموال وبنين وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والخيال المسومة والأنعام والحرث والمناصب والأرباب فجعلتها لها من دون الله؟! ..

إن الوفاء مع الله يتمثل في امتثال المأمورات واجتناب المنهيات كما جاء في نداءات المؤمنين؛ روى ابنُ أبي حاتم أنَّ رجلاً أتى عبدالله بن مسعود فقال: اعْهَدْ لِي، فقال له: إذا سمعتَ الله يقول: "يا أيها الذين آمنوا" فأزرعها سَمْعك؛ فإنه خيرٌ يأمر به، أو شرٌّ ينهى عنه.

### ثانياً: الوفاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد بايع وعاهد الصحابةُ الكرام رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - على نصره الإسلام في اليسر والعسر والمنشط والمكره؛ فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ؛ وَأَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ؛ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ." (البخاري)؛ وعن عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟" ، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِنَبِيَّةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟" ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟" ، فَقَالَ: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاسْرَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ ، يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ ." (مسلم) قال النووي: "فيه : التمسك بالعموم ، لأنهم نھوا عن السؤال فحملوه على عمومہ ، وفيه : الحث على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالاً وإن كان حقيراً ." (شرح النووي)

قلت: من شدة التزامهم بالعهد الذي بينهم وبين رسول الله يسقط سوط أحدهم من يده على الأرض؛ فما يسأل أحداً يناوله إياه حتى لا ينقض عهد رسول الله!!! ونحن عاهدناه على الإسلام وإقامة الشعائر ونصرة دينه والدفاع عنه فهل أوفينا بعهدنا ووعدنا؟!!!

### ثالثاً: الوفاء بين الأزواج:

قال صلى الله عليه وسلم: "أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ" (متفق عليه)  
فالوفاء بين الزوجين، يجعل الأسر مستقرة، والبيوت مطمئنة، فيكون رابط الوفاء بينهما في حال الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر.  
وما أجمل وفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - لزوجته خديجة؛ فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرثت على أحدٍ من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرثت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ ذِكْرَهَا، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائقي خديجة، فرمى قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأةً إلا خديجة، فيقول: "إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولدٌ." (البخاري) وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: اسْتَأْذَنْتْ هَالَةً بِنْتُ حُوَيْلِدٍ أُحْتِ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ: فَعَرِثْتُ فَقُلْتُ: مَا تَدْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ السِّدْقِيْنَ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبَدَلَكَ اللَّهُ حَيْرًا مِنْهَا ." (متفق عليه)

وعن عائشة ، قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي ، فقال : لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنت ؟ » قالت : أنا جثامة المزنية ، فقال : « بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ » قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت قلت : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : « إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » . (الحاكم وصححه ووافقه الذهبي) قال ابن حجر -رحمه الله- مصورا ذلك: "كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يُغضبُه قط". فقابل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفاءها بوفاءٍ أعظم منه، فكان في إحسانها يشكرها، وظلَّ بعد موتها يُكثِرُ ذكرها ويقول عنها: "إني رزقتُ حبَّها". (مسلم). قال النووي -رحمه الله-: "في هذا كله دليلٌ لحسن العهد وحفظ الوُدِّ، ورعاية حُرمة الصاحب والعشير في حياته وبعد وفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب".

**رابعاً: الوفاء بين الأصدقاء:** فبعض الناس يكون له صديق إمَّا في تجارة، أو دراسة، أو في عمل، أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياه إمَّا بحصوله على منصب عالٍ، أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة، أو غير ذلك، ترفع عن أصدقائه، ولم يُظهر لهم الوُدَّ السابق، وكأنَّه لا يعرفهم قبل ذلك، وهذا ليس من الوفاء؛ بل من التنكُّر للجميل، وليس من شيم الرجال ولا من أخلاقهم!!

**خامساً: الوفاء لمن أحسن إليك أو أسدى إليك معروفا:**

فإن من الوفاء أن لا ينسى المرء من أحسن إليه أو أسدى إليه معروفاً؛ وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم - سيد الأوفياء كان وفيًّا حتى مع الكفار، فحين رجع من الطائف حزينا مهموماً بسبب إعراض أهلها عن دعوته، وما ألحقوه به من أذى، لم يشأ أن يدخل مكة كما غادرها، إنما فضل أن يدخل في جوار بعض رجالها، فقبل المطعم بن عدي أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في جواره، فجمع قبيلته ولبسوا دروعهم وأخذوا سلاحهم وأعلن المطعم أن محمداً في جواره، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم الحرم وطاف بالكعبة، وصلى ركعتين، ثم هاجر وكون دولة في المدينة، وهزم المشركين في بدر ووقع في الأسر عدد لا بأس به من المشركين؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنِ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » . [رواه البخاري]...

فانظروا إلى الوفاء حتى مع المشركين.... وهذا أبو البحتري بن هشام؛ إنه أحد الرجال القلائل من المشركين الذين سعوا في نقض صحيفة الحصار والمقاطعة الظالمة التي تعرض لها رسول الله وأصحابه في شعب أبي طالب؛ فعرف له الرسول جميله وحفظه له، فلما كان يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم: «من لقي أبا البحتري بن هشام فلا يقتله» يا لعظمة هذه الأخلاق ويا لروعة هذا الوفاء!!

**سادساً: الوفاء للوطن الذي نعيش فيه:** وذلك بالحفاظ على معالمه وآثاره ومنشآته العامة والخاصة؛ والحفاظ على مياه نيله التي تربينا عليه وروينا منها أجدادنا!! وعدم الإفساد في أرضه؛ أو تخريبه وتدميره؛ وعدم قتله جنوده وحراسه الذين يسهرون ليلهم في حراستنا وحراسة أراضينا!! والذين تمتد إليهم يد الغدر والخيانة بين الحين والحين!! فعن الأصمعي قال: " إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه. " ( الآداب الشرعية لابن مفلح)؛ ولنا الأسوة في نبينا صلى الله عليه وسلم ووفائه لوطنه مكة التي تربي على أرضها؛ فقال وهو يودعها وفاءً لها: " وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ، وَلَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ " (الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح).

**أحبتي في الله:** الوفاء يتخذ أشكالاً وألواناً عديدة وكثيرة، وكلُّها أخاذة فتانة، فهو أشبه بأنواع الزهور، فعبيرٌ كلِّ واحدةٍ منها يختلف عن عبير الأخرى؛ ويكفي القلادة ما أحاط بالعنق!!

### العنصر الثالث: الوفاء للوالدين صور ونماذج بين الماضي والحاضر

**أيها المسلمون:** لقد حثنا الشارع الحكيم على الوفاء والإحسان إلى الوالدين ولا سيما في مرحلة الكبر والشيخوخة؛ قال تعالى: { وَوَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا } [الإسراء: 23-24]. واعتبر الإسلام ذلك شكراً ووفاءً لهما على ما قدماه لك من معروف وتربية ورعاية في حال صغرك؛ قال تعالى: { أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } (لقمان: 14) . فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره تعالى .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها أي إحداهما. قول الله تعالى: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. الثانية قول الله تعالى: " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه. الثالثة قول الله تعالى: " أن اشكر لي ولوالديك " فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين ". (البخاري وسند حسن).

**أيها المسلمون:** إن الإنسان إذا أهل أبويه ولم يقيم برعايتهما ولا سيما في حال الكبر والضعف والشيخوخة؛ فإنه بعيد عن رحمة الله وعن جنته؛ فعن أبي هريرة، " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَى الْمَنَبَرَ ، فَقَالَ : آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ " ، قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا ؟ فَقَالَ : قَالَ لِي جِبْرِيلُ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ لَمْ يُعْفَرْ لَهُ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ امْرِيٍّ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ". ( أحمد والطبراني والترمذي وحسنه).

وفي مقابل ذلك كان الإحسان إلى الوالدين وبرهما طريقاً إلى الجنة؛ فقد جاء رجل إلى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجلها». ( أحمد والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي).

لذلك قال حميد: لما ماتت أم أياس بن معاوية: بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة ، وأغلق أحدهما. ومن عجيب ما جاء به الإسلام أنه أمر ببر الوالدين والإحسان إليهما حتى في حالة الشرك، فقد سألت أسماء بنت أبي بكر النبي "صلى الله عليه وسلم" عن صلة أمها المشركة، وكانت قدمت عليها، فقال لها: «نعم، صلي أملك». (متفق عليه).

**عباد الله:** تعالوا لنعرض لكم صوراً مشرقةً لسلفنا الصالح وكيف كانوا بارين بأبائهم وأمهاتهم مقارنةً بواقعنا المعاصر : فقد رأى ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمه على رقبته فقال : يا ابن عمر أترى أي جزيتهما ؟ قال : لا! ولا بطلقة واحدة ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً .

وكان علي بن الحسن: لا يأكل مع والديه فقيل له في ذلك؟! فقال: لأنه ربما يكون بين يدي لقمة أطيب مما يكون بين أيديهما وهما يتمنيان ذلك ، فإذا أكلت نجست بحقهما!!

وهذا أبو هريرة كانت أمه في بيت وهو في آخر، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال: السلام عليك يا أمه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربّيتني صغيراً. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيراً. (الأدب المفرد للبخاري). وعن محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى أنه قال: "بِتُّ أَعْمُرُ رَجُلٌ أُمِّي ، وَأَخِي عُمَرُ يُصَلِّي اللَّيْلُ ، وَمَا أَحْبُّ أَنْ لَيْلَتِي بِلَيْلَتِهِ " ؛ أغمز: أي أدلكها لمرض أصابها. أي واحد يبر أمه والآخر بطاعة ربه فكان يرى أن بر أمه أعظم من طاعة ربه!!

وأختم صور الوفاء والبر بالأم عند سلفنا الصالح بهذه القصة الجميلة التي تنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم للتابعي الجليل أويس بن عامر الذي أصبح مجاب الدعوة من كثرة بره ووفائه لأمه.

فعن أسير بن جابر قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ : أَمَّا أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِلْأَبْرَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَعْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ . فَاسْتَعْفِرْ لِي . فَاسْتَعْفَرَ لَهُ ". (مسلم). قال القاضي عياض: " وقول النبي - عليه الصلاة والسلام - فيه: " له والدة، هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره "؛ إشارة إلى إجابة دعوته وعظيم مكانته عند ربه، وأنه لا يخيب أمله فيه، ولا يكذب ظنه به، ولا يرد دعوته ورغبته وعزيمته وقسمه في سؤاله بصدق توكله عليه وتفويضه إليه، وقيل: معنى " أقسم على الله " : وعى، و" أبره " أجابه، وفيه فضل بر الوالدين، وعظيم أجر البر بهما. " أ.هـ. وقال النووي: " هذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه . وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح ، وإن كان الطالب أفضل منهم ."

**عباد الله:** إن من بر الإسلام ورفقه أن حث أتباعه على الإحسان إلى أصدقاء الوالدين وبرهم وودهم والرفق بهم ولا سيما إذا كانوا في سن الشيخوخة؛ فعن عبد الله بن عمر: أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ؛ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ؛ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ فَمَلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِيَّاهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلٌ وَوَدٌّ أَبِيهِ ". (مسلم).

وبلغ الأمر ببعض السلف أنه كان يسافر ليصل صديق أبيه . فقد روى أحمد في مسنده عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: أَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ؛ فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ أَخِي مَا أَعْمَدَكَ إِلَى هَذَا الْبَلَدِ أَوْ مَا جَاءَ بِكَ؟! قَالَ قُلْتُ: لَا إِلَّا صِلَةً مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ وَالِدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ!!

**عباد الله:** اعلموا أن الجزء من جنس العمل في الوفاء والبر والعقوق؛ فمن بر أمه بره أبناءه؛ ومن عق أمه عقه أبناءه؛ فكما تدين تدان. وإليكم هذه القصة: روى أن العوام بن حوشب قال : نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحي مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نَهَقَاتٍ ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة : تري تلك العجوز ؟ قلت : ما لها ؟ قالت تلك أم هذا ، قلت وما كان قضيته ؟ قالت كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه : يا بني اتق الله إلى متى تشرب هذا الخمر ؟ فيقول لها : إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار ؛ قالت فمات بعد العصر ، قالت فهو يشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نَهَقَاتٍ ثم ينطبق عليه القبر " . (الأصبهاني بسند حسن).

**أحبيتي في الله:** تعالوا بنا نزل إلى أرض الواقع لنقف ونطوف سريعا مع واقعنا المعاصر وما يحدث فيه من عقوق وموت الضمائر والقلوب. هذه قصة واقعية يرويها أحدهم قائلاً: كنت على شاطئ البحر فرأيت امرأة كبيرة في السن جالسة على ذلك الشاطئ تجاوزت الساعة الثانية عشرة مساءً ؛ فقربت منها مع أسرتي ونزلت من سيارتي .. أتيت عند هذه المرأة ، فقلت لها : يا والدة من تنتظرين؟! قالت : انتظر ابني ذهب وسيأتي بعد قليل ... يقول الراوي : شككت في أمر هذه المرأة .. وأصابني ريب في بقائها في هذا المكان !! الوقت متأخر ولا أظن أن أحد سيأتي بعد هذا الوقت !!... يقول : انتظرت ساعة كاملة ولم يأت أحد ... فأتيت لها مرة أخرى فقالت : يا ولدي .. ولدي ذهب وسيأتي الآن!! يقول : فنظرت فإذا بورقه بجانب هذه المرأة . فقلت : لو سمحت أريد أن اقرأ هذه الورقة . قالت : إن هذه الورقة وضعها ابني وقال : أي واحد يأتي فأعطه هذه الورقة. يقول الراوي : قرأت هذه الورقة ... فماذا مكتوب فيها ؟ مكتوب فيها : ( إلى من يجد هذه المرأة الرجاء أن يأخذها إلى دار العجزة والمسنين ) . عجباً لحال هؤلاء !!

**وهذه قصة ثانية:** امرأة عجوز ذهب بها ابنها إلى الوادي عند الذئاب يريد الانتقام منها ، وتسمع المرأة أصوات الذئاب ، فلما رجع الابن ندم على فعلته فرجع وتنكر في هيئته حتى لا تعرفه أمه .. فغير صوته وغير هيئته ... فاقترب منها. قالت له يا أخ : لو سمحت هناك ولدي ذهب من هذا الطريق انتبه عليه لا تأكله الذئاب!!.. يا سبحان الله!! ... يريد أن يقتلها وهي ترحمه خوفاً عليه من الذئاب!!  
**أيها المسلمون:** لا تظنون أن هذه القصص ضربت من الخيال؛ والله في البيوت أعظم من ذلك ، واسألوا المحاكم وزوروا المستشفيات ودور المسنين ترون العجب العجيب !!

والله إن كثرة العقوق في المجتمع دليل وبرهان وعلامة على قرب قيام الساعة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام في قوله: " فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ؟ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ!! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمُّ رَبَّتَهَا ". (البخاري ومسلم).  
قال الحافظ ابن حجر في معنى تلد الأمة ربتها: " أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام ؛ فأطلق عليه ربتها مجازاً لذلك . أو المراد بالرب المرابي فيكون حقيقة ، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه ؛ ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة . ومحصلة الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المرابي مريبا والسافل عاليا ، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى أن تصير الحفاة ملوك الأرض . " (فتح الباري).  
نسأل الله أن يستخدمنا لخدمة آبائنا وأمهاتنا ؛ وأن يجعلنا من أهل البر والوفاء والعون والإحسان ؛؛

**الدعاء،،،،،**

**وأقم الصلاة،،،،،**

**كتبه : خادم الدعوة الإسلامية**

**د / خالد بدير بدوي**